الحلقة (١٥)

في هذه الحلقة سنتكلم عن قول المؤلف: "**وحبيب رب العالمين**" وثبوت الخُلَّة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ثبت له صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المحبة وهي الخُلة، فهو خليل الرحمن كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا) ويقول صلى الله عليه وسلم: (لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليل الرحمن) والحديثان في الصحيح، وهما يبطلان قول من قال الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، كما سار على ذلك المؤلف حيث قال "**وحبيب رب العالمين**"، فالخلة أعلى درجات المحبة، فإبراهيم خليل الله ومحمد حبيبه، والصحيح أنه قال: (إني أبرأ إلى كل خليل من خُلته) فالصحيح أن محمدا صلى الله عليه وسلم في درجة أعلى من حبيب رب العالمين وإنما هو خليل الرحمن كما كان إبراهيم خليل للرحمن.

المحبة قد تثبت لغيره قال الله تعالى {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} {إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين} **فبطُل قول من خص الخلة بإبراهيم والمحبة بمحمد صلى الله عليهما وسلم، بل الخلة خاصة بهما والمحبة عامة**، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه الترمذي الذي فيه (إن إبراهيم خليل الله، وأنا حبيب الله ولا فخر) لم يثبت.

المحبة مراتب: -وهذا من التقسيم الذي ليس عليه نص ولكنه يُستأنس به-

١.العلاقة وهي تعلق القلب بالمحبوب.

٢.الإرادة وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له.

٣.الصبابة وهي انصباب القلب إليه بحيث لا يملكه صاحبه كانصباب الماء في الحدور.

الغرام الحب اللازم للقلب، ومنه الغريم صاحب الدين لملازمته لغريمه، ومنه قول الله تعالى {إِنَّ عذابها كان غَرَامًا}.

٤.المودة والود وهو صفو المحبة، وخالصها ولبها، يقول الله تعالى {سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}.

٥.الشغف وهي وصول المحبة إلى شِغاف القلب، والشغاف ما يغطي الطبقة التي تكون على القلب.

٦.العشق وهو الحب المفرط الذي يُخاف على صاحبه منه، ولكن لا يوصف به الرب جل وعلا ولا العبد في محبة ربه، فلا العبد يعشق ربه، ولا الرب يعشق عبده، وإن كان قد أطلقه بعض الصوفية والعباد، واختُلف في سبب المنع، فقيل عدم التوقيف، وقيل غير ذلك، **ولعل امتناع إطلاقه أن العشق محبة مع شهوة** -وهو ترجيح الشارح- **وهي منتفية من الطرفين**، فهي منتفية أن تكون من العبد لربه أو من الرب لعبده تعالى الله عن ذلك.

٧.التتيُم وهي بمعنى التعبد.

٨.التعبد.

٩.**الخلة**، وهي المحبة التي تخللت روح المُحِب وقلبه، يقول شارح الطحاوية "**وقيل في ترتيبها غير ذلك، وهذا الترتيب تقريب حسن يُعرف حسنه بالتأمل في معانيه**".

واعلم أن وصف الله تعالى بالمحبة والخلة هو كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى وعظمته كسائر صفاته تعالى، وإنما يوصف الله تعالى من هذه الأنواع بالإرادة والود والمحبة والخلة حسبما ورد في النص، وقد اختلف في تحديد المحبة على أقوال، نحو ثلاثين قولاً، ولا تحدّ المحبة بحدّ أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاءً، كلمة المحبة بذاتها واضحة وهذه الأشياء الواضحة لا تحتاج إلى تحديد كالماء والهواء والتراب والجوع والشبع ونحو ذلك.

وقول المؤلف "**وكل دعوة نبوة بعده فغي وهوى**".

لما ثبت أنه خاتم النبيين عُلم أن من ادعى بعده النبوة فهو كاذب، ولا يقال، فلو جاء المدعي للنبوة بالمعجزات الخارقة والبراهين الصادقة كيف يقال بتكذيبه، لأننا نقول هذا لا يُتصور أن يوجد وهو من باب فرض المحال، لأن الله تعالى لما أخبر أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فمن المُحال أن يأتي مدعي يدعي النبوة ولا تظهر أمارة كذبه في دعواه.

وقول المؤلف : "**فغي وهوى**" **الغي** ضد الرشاد **والهوى** عبارة عن شهوة النفس، أي أن تلك الدعوة بسبب هوى النفس لا عن دليل فتكون باطلة.

وقول المؤلف الطحاوي :"**وهو المبعوث إلى عامة الجن، وكافة الورى، بالحق والهدى، وبالنور والضياء**"

أما كونه صلى الله عليه وسلم مبعوثا إلى عامة الجن فقد قال الله تعالى حكاية عن قول الجن {**يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ**} وكذا سورة الجن تدل على أنه أُرسل إليهم أيضا، يقول المقاتل (لم يبعث الله رسولا إلى الجن والإنس قبله -يعني قبل محمد صلى الله عليه وسلم-) وهذا قول بعيد فقد قال الله تعالى {**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ**} والرسل من الإنس فقط وليس من الجن رسول، وكذا قال مجاهد وغيره من السلف والخلف، وقال ابن عباس رضي الله عنهما **الرُسُل من بني آدم ومن الجن نُذُر**، وظاهر قوله تعالى حكاية عن الجن {**إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى**}يدل على أن موسى مرسلٌ إليهم أيضاً والله أعلم.

حكى ابن جرير صاحب التفسير عن الضحاك بن مزاحم أنه زعم أن في الجن رسلا، واحتج بهذه الآية الكريمة، وفي الاستدلال بها على ذلك نظر، لأنها محتمِلة وليست بصريحة وهي والله أعلم كقوله {**يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**}المراد من أحدهما.

أما كونه صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى كافة الورى فقد قال الله تعالى {**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**} وقال تعالى { **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**} وقال تعالى { **وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ**} أي وأنذر من بلغه، ويقول تعالى {**وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا**} وقال تعالى {**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ**

آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِم...} الآية ويقول الله تعالى {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}، ويقول الله تعالى {وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغ}.وقال صلى الله عليه وسلم: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) أخرجاه في الصحيحين، ويقول صلى الله عليه وسلم: (لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار) رواه مسلم، **وكونه صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الناس كافة معلوم من دين الإسلام بالضرورة،** أما قول بعض النصارى إنه رسول إلى العرب خاصة فظاهر البطلان، فإنهم لما صدقوا بالرسالة لزمهم تصديقه في كل ما يخبر به، وقد قال (إنه رسول الله إلى الناس عامة) والرسول لا يكذب، فلزم تصديقه حتما، فقد أرسل رسله وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وسائر الملوك يدعو إلى الإسلام.

يقول المؤلف "**المبعوث إلى عامة الجن وكافةِ الورى**" **وكافة** في إضافتها للورى يعني الناس صحيحة، وجاءت في لغة العرب قليلة، واستعملها عمر رضي الله عنه وهي صحيحة، خلافا لمن قال إن كافة لا تستخدم إلا منصوبة على وجه الحال، يعني أن تكون حالاً كما قال عز وجل {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} فالأصل أن تكون منصوبة حال ويجوز في لغة قليلة استعملت مضافة. يقول الشارح: "وكافةِ الورى" في جر "كافة" نظر، وهنا يعترض الشارح على المؤلف في جر كلمة "كافة" يقول الشارح: "فإنهم قالوا لم تستعمل كافة في كلام العرب إلا حالاً، لا تأتي إلا منصوبة" **واختلفوا في إعرابها في قوله تعالى** {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ } **على ثلاثة أقوال:**

- أحدها: **أنها حال من الكاف في أرسلناك** وهي اسم فاعل والتاء فيها للمبالغة، أي إلا كافـّاً للناس عن الباطل، وقيل هي مصدر كفَّ فهي بمعنى كفّاً أي إلا أن تكُف الناس كفّا ووقوع المصدر حالاً، كثيرٌ.
- الثاني: **أنها حالٌ من الناس، فهي منصوبة،** واعتُرِض بأن حال المجرور لا يتقدم عليه عند الجمهور، وأُجيب بأنه قد جاء عن العرب كثير فوجب قبوله، وهو اختيار ابن مالك رحمه الله أي وما أرسلناك إلا للناس كافة.
- الثالث: **أنها صفة لمصدر محذوف.**

وكلام الشارح رحمه الله أن (كافة) جرها فيه نظر هو غير صحيح، وأنها لا تأتي إلا منصوبة غير صحيح، فقد استعملها عمر رضي الله عنه وكذلك هي مستعملة في لغة قليلة عند العرب.

قول الطحاوي رحمه الله :"**بالحق والهدى والنور والضياء**" هذه أوصاف ما جاء به صلى الله عليه وسلم

من النور المؤيد بالبراهين الباهرة من القرآن وسائر الأدلة، والضياء أكمل من النور قال تعالى {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا} هذا ما يتعلق بالكلام على بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإنس والجن كافة، وإعراب كلمة (كافة) وأن في إضافتها للورى نظر، وفي كلام الشارح نظر، وأنها جاءت في لغة قليلة عن العرب، واستعملها عمر رضي الله عنه وهي صحيحة، خلافاً لمن قال إن كافة لا تستخدم إلا منصوبة على وجه الحال، يعني أن تكون حالاً كما قال الله عز وجل {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} فالأصل أن تكون منصوبة حال، ويجوز في لغة قليلة من لغة العرب أن تستعمل مضافة، فيكون كلام الطحاوي رحمه الله عندما قال "**وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى والنور والضياء**".